مسائل الخلاف في معلقة امرئ القيس وآراء النحاة فيها

- المقدمـــة

للشعر أهمية كبيرة في مجال اللغة والاستشهاد ، وقد اولاه النحاة الأهمية البالغة حتى كانوا يقتصرون عليه في اطلاقهم كلمة الشاهد ، وكأن هذه الكلمة لا تعني شيئاً غيره .

وربما كان احد اهم الأسباب التي كانت وراء هذا الاهتمام كثرة ما يضمه الشعر من ظواهر وجوازات واستعمالات والتي كانت شغل النحاة الشاغل ومدار الخلاف فيما بينهم .

فهذا يثبتها وهذا ينفيها وهذا يخصها بالشعر وهذا يعدها لغة الى غير ذلك من صور الخلاف وأشكاله المتنوعة .

ولا يغيب عن بال احد سعة اللغة العربية وثرائها ولغاتها ولهجاتها المتنوعة والمتعددة بتعدد وتنوع القبائل الناطقة بها . وهذه القبائل تشترك فيما بينها بكثير من الخصائص والمميزات والاستعمالات وهو ما اصطلح عليه اليوم باللغة المشتركة . لكن هذه القبائل ايضاً تنفرد بالكثير من الخصائص والمميزات والاستعمالات التي تمثل ميول اصحابها وطريقتهم في التعامل مع اللغة . كما ان كثيراً من اللغات واللهجات خضعت لقانون التطور والتغيير والتأثر والتأثير . فاللغة العربية لم تصب دفعة واحدة بالقالب الذي صنعناه من القواعد والحسابات المنطقية الضيقة ، وانما شأنها شأن أي لغة اخرى كان لها سيرتها وتطورها عبر الزمن . وقد اخطأ النحاة خطأ كبيراً عندما حاولوا رد كل ما لا يتوافق مع قواعدهم المفترضة والطعن به من دون ان يلتفتوا بنظر الاعتبار هذه الحقائق . فبعض القواعد ان لم نقل كثيراً منها يحتاج الى اعادة النظر كما ان كثيراً مما اختلف فيه يمثل في الحقيقة لغة لقبيلة ما او لهجة من اللهجات خاصة ما في الأمر انه ليس لها من الشيوع ما لغيرها .

وليس يعني قولنا هذا ان اللغات واللهجات جميعها بمرتبة واحدة . فمنها الشائع والغالب ومنها المستعمل ومنها النادر والنادر ووضعها جميعاً في كفة واحدة مخالف للصواب غير ان جميعها يستحق النظر والاهتمام ، ودراسة ما فيها من ظواهر قد تفسر لنا الكثير

Scanned by CamScanner

مما نجهله من مسيرة لغتنا وتطورها عبر الزمن . وليس غريبا بعد هذا اذا ما عرفنا ان كثيرا مما الحقه النحاة بالضرورة هو لغة استعملها هذا الشاعر او ذاك . وقد نص على هذا كثير من النحاة ، الا انهم لم يتعاملوا مع اللغة بمقتضى ذلك . فنبذوا كل ما خالف القاعدة واستبعدوه .

وبعد ما تقدم يحاول هذا البحث تتبع الظواهر النحوية في معلقة امرئ القيس والتي كان للنحاة مواقف مختلفة ومتباينة منها ، محاولين تفسيرها وبيان اصلها ، وهل هي لغة في الحقيقة ، ام مجرد خرق للقاعدة دفع الشاعر اليه الضرورة او الوزن .

الباحث

Scanned by CamScanner

وقول الفرزدق :

لما سللت على الهوان ورفطها

انا احدّ ثم تنطق الشفتان. (5)

اي : شفتاه [6]

وينسب المرادي هذا القول – نيابة أل عن الاضافة – الى الكوفيين عامة فيقول :

هذا القسم يقول به الكوفيون وتبعهم ابن مالك ومن امثلته :﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾

– ص/50 .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ – النازعات / 41

أي : أبوابها لو هي مأواه "(7)

ويذكر المرادي أن " مذهب اكثر البصريين ان الضمير في ذلك محذوف ، والتقدير : مفتحة لهم الابواب منها أولها ، وهي المأوى له " [8]

ولا شك ان هذا هروب من خلاف الى خلاف ، لقول البصريين مبني على تقدير حذف الجار والمجرور وهي مسألة متنازع عليها بين النحاة ايضاً . ومن البصريين الذين ذهبوا هذا المذهب أبو جعفر النحاس الذي ذكر ان نيابة (ال) عن الاضافة هي من مذهب الكوفيين حسب [9] .

غير ان ابن هشام ذكر ان بعض البصريين وكثير من المتأخرين قد جوزوا نيابة (ال) عن الضمير المضاف اليه وخرجوا على هذا بعض الأيات القرآنية المتقدم ذكرها

ومثل بيت امرئ القيس بيت عنترة :

عهدي به شد النهار كأنما خضب البنانُ ورأسهُ بالعظلم (10)

Scanned by CamScanner

الظواهر النحوية في المعلقة

أ – نيابة (ال) عن الإضافة :

وذلك في قوله :

كبكر مقاناة البياض بصفرة

غذاها نمير الماء غير محلل [1]

إذ روي (البياض) بالرفع والتقدير : كبكر المقاناة بياضها [2]

والبيت السابق هو احد الأبيات التي استشهد بها النحاة على ان (ال) تقوم مقام الإضافة ومن هؤلاء الفراء [3] وابو العباس ثعلب فيما نقله ابو بكر الانباري عنه وهو مذهب ايضاً [4] وحجته في ذلك ان الالف واللام والإضافة جميعاً دليلان من دلائل الأسماء . واحتج لذلك ايضاً بقوله تعالى ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾ – النازعات / 40 ، فالتقدير عنده : عن هواها . وبقوله تعالى ﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ – الحج / 20 . على ان التقدير :(جلودهم) .

واستشهد لذلك ايضاً بقول النابغة :

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم من الناس والأحلام غير عوازب. (3)

أي : وأحلامهم .

وقول الشماخ

فلما شراها فاضت العين عبرة

وفي الصدر حزاز من اللوم حامز(4)

أي : في صدره .

Scanned by CamScanner

والتقدير في قوله (الذان) بذلك بدليل انه قال بعده : (ورأسه) .

وورود هذه المسألة في الشعر الجاهلي متمثلة بقول امرئ القيس والنابغة وعنترة وغيرهم وشعر بعض الاسلاميين كالفرزدق . وامكان حمل بعض ايات التنزيل عليها يفسر لنا ما نقل عن تجويز أكثر المتأخرين لهذه المسألة لاسيما وان قوله ببعدنا عن الحاجة الى تقدير المحذوفات والتي توقعنا بدورها بمحذور أخر هو حذف الجار و المجرور المختلف عليه ايضاً.

ومما يدعم قولنا ان (ال) قد تنوب عن الاسماء . كما هو الحال في نيابتها عن الاسم الموصول في ابيات عدة منها قول الفرزدق :

ما انت بالحكم الترضى حكومته ولا الأصيل ولا ذو الرأي والجدل (11)

وقوله :

من لا يزال شاكراً على السعة

فهو حد ٍ بعيشة ذات سعة(12)

أي: الحكم الذي ترضى ، القوم الذين رسول الله ، على الذي معه [13]

ولسنا نريد من هذا اجازته كله ، الا اننا نريد ان نبين ان نيابة (ال) عن الأسماء أمرٌ وارد في العربية . ولا شك أن نيابتها عن الضمير المضاف فيه شيء من الاختصار وهو من الأمور المعروفة في العربية أيضاً.

2 – صرف ما لا ينصرف :

قال امرئ القيس :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة

فقالت لك الويلات انك مرجلي [14]

Scanned by CamScanner

5 – حذف الموصول :

قال امرؤ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل[45]

وقال أيضاً:

اذا قامتا تضوع المسك منهما

نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل[46]

وهذا أن البيتن مما اختلف عليه النحاة فالبعض يخرجه على حذف الموصول والتقدير في الأول : ما بين الدخول، والتقدير في الثاني : التي جاءت بريا القرنفل والبعض الأخر لا يرتضي ذلك .

وحذف الموصول مما لا يجيزه أكثر البصريين ويجيزه كثير من الكوفيين ، ومنهم هشام ابن معاوية الكوفي – من أصحاب الكسائي – الذي يقول :

المعنى بسقط اللوى ما بين الدخول الى حومل . وكذلك الفراء [47]

وممن انكره من البصريين أبو جعفر النحاس الذي ذكر ان حذف الموصول من مذهب الكوفيين من النحاة [48] .

ومما حمل هذا المحمل أيضاً بيت عنترة وهو من معلقته :

وكأنما أطمنّ الأكامَ عشية

بقريب بين المنسمين مُصلّم[49]

على تقدير : ما بين المنسمين[50]

Scanned by CamScanner

ويؤيد مذهبهم ايضاً ما حكي من الشواهد المنثورة كقول بعض العرب " قطع الله الغذلة يد ورجل من قاله " [31]

ومنه ما حكاه الكسائي ايضاً: " بزنت اليك من مائة وعشري النحاسين " يريد : من مائة النحاسين وعشريهم [32]

وقد ورد في منثور الكلام ايضاً الفصل بالجملة وهو ما حكاه ابو عبيدة عن اعرابي لقيه ابو الدقيش انه سمعه يقول : " ان الشاة تسمع صوت – قد علم الله – ربها فتقبل اليه وتنثو " [34]

هذا فضلاً عن الشواهد الشعرية الكثيرة جداً [35]

ولهذا ذهب ابو حيان الى ان الفصل بين المتضايفين حتى بالجملة جائز في سعة الكلام وتثره [36] . وممن ذهب هذا المذهب أيضاً ابو جعفر النحاس وهو نحوي متقدم بصري المذهب [37] وكذلك ابو بكر البطليوسي [38] والخطيب التبريزي [39] .

4_ تخفيف لاسيما:

قال امرؤ القيس: الا رب يوم لك منهن صالح ولاسيما يوم بدارة جلجل[40]

وروي قوله(لاسيما)بتجديد وتخفيف.

وليس النحاة على رأي واحد في مسألة جواز تخفيف (سيما) فكثير منهم يوجب تشديدها واقتران اللام بها ومن هؤلاء ثعلب الذي كان يرى وجوب تشديدها واقتران الواو و (لا) النافية بها [41] .

في حين ذكر تلميذه أبو بكر الأنباري انه حكي في (سيما) التشديد والتخفيف [42] .

كما حكي عن الأخفش أيضاً: " انه يقال لاسيما مخففاً " [43] .

وهذه الحكايات وما جاء في البيت السابق يقوي بعضها بعضاً. والتخفيف لغة تمثل مظهر من مظاهر الهروب من الثقل والتخلص من التضعيف الذي يحتاج الى جهد عضلي أكبر في النطق وهو امرٌ معروف عند بعض القبائل العربية فلا داعي لانكاره واستبعاده [44] .

Scanned by CamScanner

3 – الفصل بين المتضايفين :

قال امرؤ القيس :

كقنو وتبدي عن أسيل وتتقي

بناظرة من وحش وجرة مطفل [25]

والتقدير : بناظرة مطفل من وحش وجرة . فلم يفصل بين المضاف والمضاف اليه وحسب وانما نون المضاف ايضا . وهو ما يسميه النحاة بتنوين الغلط ، والأجود عندهم أن يفصل بينهما بلا تنوين كما هو الحال في قوله :

كأن أصوات – من إيغالهن بنا –

أواخر الميس أصوات الفراريج [26]

فالفصل بين المضاف (أصوات) والمضاف اليه (أواخر) بالجار والمجرور (من إيغالهن) ولم يلون [27] .

وبعض النحاة لا يجيز هذه المسألة حتى في الشعر كالفراء [28] والزمخشري الذي يرى ان ما ورد في الشعر من ذلك سمج وقبيح [29] .

الا ان اغلب المتأخرين يجيزون ذلك كأبي حيان . وتؤيد مذهبهم ورود الفصل في القراءات القرآنية وذلك في قراءة ابن عامر ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ ﴾ – الأنعام / 137 .

بنصب (الأولاد) وخفض (الشركاء) وهي قراءة سبعية مستندة من أكثر من طريق ومتواترة على جميع شروط القراءة الصحيحة [30] . والاخرى هي قراءة ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾ – ابراهيم / 47 .

بنصب (وعده) وخفض (رسله) [31] .

Scanned by CamScanner

فنون (عنيزة) بتنوين الخفض وكان ينبغي أن ينصبها بلا تنوين لأنها لا تنصرف للعلمية والتأنيث .

وفعل هذا في موضع آخر من معلقته وذلك في قوله :

علا قطناً بالشيم أيمن صوبه.

وأيسره على الستار ٥ فيذبل[15]

اذ خفض (يذبل) وكان ينبغي له أن ينصبه بلا تنوين أيضاً لانه ممنوع من الصرف للعلمية ووزن الفعل .

ويرى البطليوسي انه " صرف يذبل صرف ضرورة "[16] وذلك انه وقع في موضع القافية وهي مكسورة .

ويذكر ابن عصفور أن " صرف ما لا ينصرف في الشعر أكثر من أن يحصى "[17] وليس كل ممنوع من الصرف يقع صرفه على السنة الشعراء تضطرهم اليه الضرورة – من وجهة نظرنا على الاقل – وانا نظرنا الى البيتين السابقين لامرئ القيس نرى ان صرف (يذبل) تفرضه الضرورة الشعرية . وذلك لمكانه من القافية ، أما صرف (عنيزة) فلا ضرورة فيه لا مكان نصبه بلا تنوين من دون أن يؤثر ذلك على وزن البيت ويبقى وزنه مستقيماً .

وقد ورد مثل هذا في بيت آخر لامرئ القيس صرف فيه الممنوع من الصرف وترك صرفه لا يكسر للبيت وزناً وذلك في قوله :

ربّ رام من بني ثُعل. مُتلبّب كفيه في قتره(18)

فصرف (ثعل) وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعدل وترك صرفه لا يؤثر على وزن البيت .

Scanned by CamScanner

والذي يدور من ظاهر هذه النصوص هو حذف الموصول ولا نرى مقتضاه ، وسياق الأبيات المتقدمة يدل عليه ، والسياق احد القرائن في معرفة الحذف كما هو معلوم . كما ان العرب كثيراً ما تحذف اذا عرف المعنى وكثيراً ما تلجأ الى الايجاز والاختصار[59] والشواهد الشعرية المتقدمة والآيات القرآنية السابقة تدل على ذلك بوضوح اذا ما نظرنا اليها بنظرة بعيدة عن سلطة الافتراضات التي تحكمها الصناعة النحوية وقريبة من سعة لغة العرب وتنوع استعمالاتهم .

6 – حذف همزة الاستفهام :

قال امرؤ القيس :

أصاح ترى برقاً أريك وميضه

كلمع اليدين في حبيٍّ مكلل[60]

أراد : أترى برقاً ، فحذف همزة الاستفهام .

وقد اختلف النحاة في جواز حذفها ، ونقل المرادي عن الكوفيين تجويزهم ذلك[61] .

واختار الاخفش جواز ذلك اذا أمن اللبس وحمل عليه قوله تعالى : ﴿ هذا ربي ﴾ـ الأنعام / 76 ، في المواضع الثلاثة من الآية (62) .

ومما ورد فيه حذف الاستفهام قول عمرو بن ابي ربيعة :

بدا لي منها معصمٌ حين جمرت وكفٌ خضيبٌ زينت ببنان

فو الله ما أدري وان كنت داريا بسبع رميْ الجمر أم بثمان

أراد : أبسبع ٦٢

وقد ورد حذف الهمزة من دون أن تتقدم على (أم) وذلك في قوله :

طربتُ وما شوقاً الى البيض أطربُ ولا لعباً وذو الشيب يلعب

Scanned by CamScanner

ويبدو أن صرف ما لا ينصرف كثير في الاستعمال على ألسنة الشعراء الجاهليين وقد ورد ذلك في معلقة عمرو بن كلثوم في قوله :

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بأيدي لاعبينا [19]

فصرف (مخاريق) وهو ممنوع من الصرف ، وهذا لضرورة الوزن .

كما ورد في معلقة الحارث بن حلزة في قوله :

ثم جهزنا أعلى ابن أم قطام وله فارسية خضراء [20]

فصرف (قطام) وهو ممنوع من الصرف وترك صرفه لا يكسر للبيت وزناً .

وكذلك في معلقة زهير :

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن

تحملن بالعلياء من فوق جرثم [21]

صرف (ظعائن) وهو ممنوع من الصرف . وترك صرفه لا يكسر وزن البيت ايضاً.

ولشيوع هذا الاستعمال وكثرة دورانه على ألسنة الشعراء ، ذهب بعضهم الى انه لغة من لغات العرب كانت بعض القبائل تصرف فيها كل الأسماء بما في ذلك ما لا ينصرف . وهذا ما نرجحه ، لاسيما وانه قد نقل عن أبي الحسن الأخفش – الاوسط – " أنه سمع من العرب من يصرف في الكلام جميع ما لا ينصرف " [22] . ويذكر ابن عصفور ايضا انه " حكي عن الزجاجي في نوادره مثل ذلك " [23]

ويبدو ان ما حكاه الاخفش والزجاجي قد سانغ لابن عصفور ، فعلق على ذلك بقوله : " فالجواب أن صرف ما لا ينصرف في الكلام انما هو لغة لبعض العرب . قال ابو الحسن : فكان ذلك لغة للشعراء لأنهم قد اضطروا اليه في الشعر فصرفوه . فجرت ألسنتهم. وأما العرب فلا يجيزون صرف شيء منه في الكلام . فلذلك جعل من قبيل ما يختص بالشعر " [24] .

Scanned by CamScanner

كما حمل على هذا أبيات اخرى كقوله :

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه ويلصرة سواء

أي : ومن يمدحه .

وقوله :

فو الله ما فلتم و لا ليل منكم بمعتلر وقق، ولا متقارب.

أي : ما الذي فلتم [51] .

ولم يكن أبو بكر الأنباري – وهو كوفي – يجوز حذف (ما) الموصولة اذا كانت لتفيد معنى الفصل بين شيئين وكان يخطأ الفراء الذي جوز حذفها [52] الا انه خرج بيت امرئ القيس الثاني على حذف الموصول (التي) فقدر المعنى : التي جادت بريا القرنفل . وجوز مع ذلك أن يكون (نسيم) موصولاً بنفسه لما اكتنفه من معنى الأبهام ولم اعثر على أحد يوافقه في رأيه [53] .

وما ذهب اليه أبو بكر الانباري في عدم تجويزه حذف (ما) الموصولة اذا كانت حداً بين شيئين لا دليل عليه ولاسيما ان كان المعنى المراد مفهوماً من السياق .

وقد استشهد من جوز حذف الموصول وابقاء الصلة بآيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ – الجمعة / 5 . والتقدير : كمثل الحمار الذي يحمل اسفاراً [54] .

وبقوله تعالى : ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ – الانعام / 94

على قراءة نصب (بين) [55] والتقدير :

وقوله تعالى : ﴿ مَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ – الصافات / 164 .

والبصريون يقدرون وما منا ملك الا له مقام معلوم [57]

وقوله تعالى(امنوا بالذي انزل الينا وانزل اليكم)_العنكبوت.46،اي:والذي انزل اليكم(58)

Scanned by CamScanner

وقد ورد هذا عند غيره من الشعراء الجاهليين وهو عمرو بن كلثوم :

وأيام لنا وليهم طوال عصينا الملك فيها أن ندينا

لأنه يعني بـ (لهم) القبائل ولم يجر لها ذكر[104] .

ويبدو أن العرب تضمر إذا عرف المعنى . وقد ورد الإضمار قبل الذكر في القرآن الكريم أيضاً وذلك في قوله تعالى : ﴿ حتى توارت بالحجاب ﴾ – ص / 32 .

فأضمر الشمس ولم يجر لها ذكر[105] .

12 – زيادة (من) في الإيجاب :

وذلك في البيت المتقدم :

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها

لما نسجتها من جنوب وشمأل[106]

إذا جعلت (ما) في البيت مصدرية . فلا تقتضي أن يعود عليها ذكر ، فتكون الهاء عائدة على المقراة أو على المواضع المذكورة كلها وليس على الريح[107] .

وأكثر النحاة يشترطون في زيادة (من) أن يسبقها نفي أو شبهه من نهي أو استفهام وأن يكون مجرورها نكرة[108] .

إلا أنه قد ورد زيادة (من) بعد الشرط وليس بعد النفي وشبه النفي وذلك في قول زهير :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فزاد (من) بعد الشرط[110] .

وكان الأخفش يجيز زيادتها في الإيجاب وجعل من ذلك قوله تعالى ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ﴾ . نوح / 4 ، وهذا ما يذهب إليه الكوفيون ومنه عندهم :

Scanned by CamScanner

أراد : أو ذو الشيب يلعب [64] ولم يذكر في الكلام (أم) وهو عين ما ورد في قول امرئ القيس .

وأبو بكر البطليوسي يرى أن ما ورد في بيت امرئ القيس غير حسن لأنه حذف الهمزة من غير دليل على حذفها ، والذي يدل عليها (أم) [65] .

وكلام البطليوسي فيه نظر ، وقد ورد حذفها في منثور الكلام ، قرأ ابن محيصن ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ – البقرة/ 6 بدلاً من : أأنذرتهم [66] بحذف الهمزة .

كما ورد حذفها في الحديث الشريف بدون ذكر (أم) في قوله عليه الصلاة والسلام لجبريل : وأن زنى وإن سرق ؟ فقال : وإن زنى وإن سرق [67] .

ولهذا اختار ابن هشام جواز حذفها حتى في سعة الكلام [68] وهو ظاهر في النصوص المتقدم ذكرها . كما أن القرينة لا تكون بـ (أم) فقط بل تكون أيضاً بالسياق و بـ (التفخيم) أيضاً فإن النغمة التي يأتي المتكلم بها بكلامه تمكن المتلقي من فهم كثير من المعاني التي يلمح لها المتكلم ولا ينطق بها .

7 – وقوع المصدر حالاً :

وذلك في أكثر من بيت من أبيات المعلقة في قوله :

فقاضت دموع العين مني صبابة

على النحر حتى بل دمعي محملي[69]

فنصب (صبابة) على الحال .

Scanned by CamScanner

8 – إجراء المضارع المعتل مجرى السالم :

وذلك في قوله :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي

بصبح، وما الإصباح منك بأمثل[75]

فأثبت الياء في (انجلي) وموضعه جزم على الأمر .

ومثل هذا قول الشاعر :

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبونُ بني زياد.

أثبت (الياء) في المضارع المعتل (يأتي) وموضعه جزم بـ (لم) .

وقول الشاعر :

هجوتُ زيّان ثم جئت معتذراً

من هجو زيان لم تهجو ولم تدع.[76]

فأثبت واو (تهجو) وموضعه جزم بـ (لم) أيضاً .

وسيبويه يخص هذا بالشعر ويرى ان الشاعر جعله حين اضطر مجزوماً من الأصل [77] وذلك ان الأصل في المضارع ان يكون مجزوماً بالسكون . والشاعر حين يضطر عند سيبويه فانه يلجأ الى لغة من لغات العرب يقول : ((ليس شيء يضطرون اليه الا وهم يحاولون به وجهاً))[78] .

وكذلك ذهب الفراء الى أن مثل هذا لغة فطق على قراءة يحيى بن وثاب وحمزة : ﴿ لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ طه / 77 . بإثبات الألف في تخشى بقوله : " ان شئت جعلت (تخشى) في موضع جزم وان كانت فيها الياء ، لأن من العرب من يفعل ذلك .

Scanned by CamScanner

وانشد يعقوب ايضاً :

قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال [98]

ومما قيل فيه (عن) بمعنى (بعد) ايضاً قول الشاعر :

ومنهل وردته عن منهل

اي : بعد منهل [99]

وقد حملت (عن) على معنى (بعد) في بعض آيات القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾– المؤمنون / 40 .

وقوله تعالى : ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ – النساء / 46 [100] .

والدليل على ان (عن) بمعنى (بعد) كما يذكر ابن هشام قوله تعالى في مكان آخر : ﴿ من بعد مواضعه ﴾ – المائدة / 13 [101] .

ويحمل على ذلك ايضاً قوله تعالى : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ – الانشقاق / 19 .

اي : حالة بعد حالة .

11 – الإضمار قبل الذكر :

قال امرؤ القيس :

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها

لما نسجتها من جنوب وشمال [103]

فأضمر (الريح) وهي المعنية بضمير (نسجتها) ولم يتقدم لها ذكر ، والأصل في الضمير ان يعود على مذكور متقدم لفظاً او رتبة [104] .

Scanned by CamScanner

ورجح ابو جعفر النحاس ان يكون (قدير) معطوفا على ملضج بلا ضرورة والمعنى عنده من بين قدير . والتقدير : من بين منضج قدير ثم حذف (ملضجا) واقام (قديرا) مقامه في الاعراب كما قال جل وعز ﴿ واسأل القرية ﴾– يوسف / 25 [117] .

وقد ذهب ابن عقيل وبعض النحاة في مسألة قريبة من هذه المسألة وهي عطف الاسم المنصوب على المخفوض الى انه يجوز جره مراعاة للفظ ونصبه على تقدير فعل وذلك انه روي بالوجهين قوله :

الواهبُ المائة الهجان وعبدَها عوذاً تزجي بينها اطفالها

بنصب (عبد) وجره .

وقول الآخر :

هل أنت باعث دينار لحاجتنا أو عبد رب أخا عون بن مخراق

بنصب (عبد) عطفاً على محل (دينار) ، أو على اضمار فعل التقدير: تبعث عبد رب[118] .

فبعض النحاة كابن عقيل لم يلجوا في مثل هذه المسألة الى مراعاة الوجه الآخر الذي يجوز الاعراب عليه كما يرى سيبويه والكوفيون . والذي يبدو لنا ان مذهبه ومذهب الكوفيين لا غبار عليه لأنه لا يتضمن محاولة لتطويع اللغة قسراً وجعلها موافقة للقاعدة من دون اخذ بنظر الاعتبار طريقة العرب في الكلام واستعمال اللغة المبنية على السماع اساساً لا على القواعد العقلية والمنطقية الصارمة التي لا يشذ عنها شاذ أو لحن الا من حيث الافتراض الذهني فقط . ولأن التقدير على هذا المذهب اقل منه في غيره وعدم التقدير اولى من التقدير . كما ان احتمال ان يكون (قدير) منخوضاً لمجاورته (شواء) امر وارد أيضاً . وقد ذهب اليه بعض النحويين في توجيههم للبيت [119] .

14 – خفض الجوار

وذلك في قوله :

كأنّ أبانا في افانين ودقه

كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزَمَّلِ [120]

Scanned by CamScanner

فخفض (مزمل) وكان يجب رفعه لأنه نعت لـ (كبيرالناس) الا انه خفض (مزمل) لمجاورته (بجاد) على نحو مما ورد عن العرب من قولهم (هذا جحر ضب خرب) .
والنحاة مختلفون في هذه المسألة فبعضهم يجيزها والبعض الأخر يمنعها . وممن جوزها سيبويه الذي اعتمد في ذلك رواية الخليل ، وكذلك جوزها الاخفش والفراء وابن هشام وغيرهم [121] .

أما أبو البقاء العكبري فهو يجيز هذه المسألة في القرآن الكريم وكلام العرب نظمه ونثره يقول : " وليس بممتنع ان يقع في القرآن لكثرته ، فقد جاء في القرآن والشعر " [122] .
وقد ذهب احد الباحثين المعاصرين وهو د . عبد الفتاح أحمد الحموز الى جواز القياس على خفض الجوار مطلقا لأنه قد ورد في التنزيل والكلام العربي شواهد يمكن ادراجها في هذا الباب ومن هذه الشواهد قراءة قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ – البقرة / 217 . بخفض قتال [123] .

وقراءة الحسن لقوله تعالى : ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾– التوبة / 3 بخفض اللام من رسوله [124] .
ومن الشواهد الشعرية قوله :

يا صاح بلغ ذوي الزوجات كُلهم
ان ليس وصل اذا انحلت عُرى الذنب ○

بخفض (كلهم) .

وقول زهير بن أبي سلمى :

لعب الرياح بها وغيرها بعدي سوافي المور ○ والقطر [125]

Scanned by CamScanner

قال امرؤ القيس :

فظل ظهاة اللحم من بين منضج

صفيف شواء أو قدير معجل[113]

فخفض (قدير) وهو معطوف على (صفيف) المنصوب وقوله هذا أشكل على كثير من النحويين وذهبوا فيه الى اقوال عدة منها :

أن يكون معطوفاً على (صفيف) فلما تباعد ما بينهما وكان ما قبله مخفوضاً غلط فخفضه ، ويرى ابو جعفر النحاس أن هذا القول ليس بشيء [113] وذكر أن قول اكثر اهل اللغة والذي اجاز سيبويه مثله " انه كان يجوز ان يقول من بين منضج صفيف شواء فحمل قديراً على (صفيف) لو كان مخفوضاً " ، وشرح هذا انك اذا عطفت اسماً على اسم وكان يجوز لك في الأول اعرابان : فأعربته بأحدهما ثم عطفت الثاني عليه ، جاز لك ان تعربه بأعراب الأول ، وجاز لك ان تعربه بما كان يجوز في الأول فتقول : هذا ضارب زيدٍ وعمرو ، وكذلك تقول : هذا ضاربٌ زيداً وعمراً ، وان شئت قلت : هذا ضارب زيداً وعمرو . لانه كان يجوز لك ان تقول : هذا ضارب زيدٍ وعمرو فهذا يجريه على مذهب سيبويه ، وانشد :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرةً ولا ناعب إلا ببين غرابها[114]

وقد نسب أبو بكر البطليوسي هذا المذهب للكوفيين [115]

وقد رأينا فيما تقدم أنه مذهب سيبويه ، الا انه قد خالفه في هذا بعض البصريين ، فلم يرتض ما ذهب اليه المازني والمبرد وذهبا الى ان الرواية الصحيحة (ولا ناعباً) لانه لا يجوز ان يضمر الخافض (المضاف) لانه لا ينصرف وهو من تمام الاسم .[116]

Scanned by CamScanner

قال بعض بني عبس وهم من قيس :

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد.

فأثبت الياء في (يأتيك) وهي في موضع جزم ، لأنه رآها ساكنة فتركها على سكونها كما تفعل بسائر الحروف " [79].

وقد ذهب بعض النحاة الى ان هذا من قبيل اشباع الحركة فتصبح حركة من جنسها ومن هؤلاء ابن جني [80] وأبو بكر الانباري الكوفي [81].

ومما يرجح ان المضارع المعتل جزم بالسكون مراعاة للأصل ان بعض الشواهد الشعرية ظهرت فيها الضمة على الياء ولم تحذف للثقل كما هو مفترض مما يدل على مراعاة الأصل وهو ظهور الحركة وذلك في قوله :

فعوضني عنها غناي ولم تكن تساوي غنى غير لخمسة دراهم [82]

وقد ظهرت الكسرة والتنوين على الياء في بيت جرير :

ويوماً يجاذبن الهوى غير ماطئ

ويوماً ترى منهن غولاً تغول [83]

ويؤيد ذلك أيضاً القراءات القرآنية الواردة كقراءة يحيى بن وثاب وحمزة المتقدمة ، وقراءة قنبل : ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾- يوسف / 90 باثبات الياء من (يتقي) [84].

والأهم من هذا كله اثبات الألف في المضارع المعتل المجزوم في نص القراءة المتواترة للقرآن الكريم وذلك في قوله تعالى : ﴿ سَنُقْرِؤُكَ فَلاَ تَنسَى ﴾ – الأعلى / 6 .

بدون حذف الألف لدخول الجازم [85].

Scanned by CamScanner

وفي قوله :

إلى مثلها يرنو الحليم صبابة"

إذا ما اسبكرت بين درع ومجول[70]

فنصب (صبابة) على الحال ايضا" وهو مصدر .

وفي قوله :

وقرقا" بها صحبي عليّ مطيهم

يقولون لا تهلك اسى" وتجمل[71]

فنصب (اسى ك) على الحال وهو مصدر ايضا" .

والأصل في الحال ان يكون مشتقا" ، لهذا ذهب بعض النحاة كابن عقيل الى ان مجيء الحال مصدرا" ليس بمقيس وان كثر وروده [72] .

واقرار ابن عقيل بكثرة ما ورد من ذلك وذهابه الى ان هذا ليس بمقيس يمثل تناقضا" كبيرا" .

وذهب الاخفش والمبرد في مثل هذا الى ان المصدر ليس حالا" وانه منصوب على المصدرية (مفعول مطلق) والعامل فيه فعل محذوف من لفظه فقولهم : طلع زيد بغتة تقديره : طلع زيد يبغت بغتة ، و (يبغت) عند هما هو الحال لا (بغتة) [73] .

وهذا ما ذهب اليه الكوفيون الا ان الناصب له عندهم الفعل المذكور (طلع) وليس فعل مقدر ، لتأويله بفعل من لفظ المصدر فهم يقدرون (طلع) بـ (بغت) وينصبون به (بغتة) .

ولهذا ذهب ابو بكر الانباري في تعليقه على بيت امرئ القيس الأخير (لا تهلك اسى ك) الى أن (أسى ك) نصب على المصدر لأن قوله لا تهلك في معنى (لا تأسى) . فكأنه قال : لا تأس أسى" ، وذكر ان هذا قول الكوفيين [74] .

ولا ندري ما الداعي الى هذه التقديرات في مسألة وصفها النحاة بالكثرة . فكون الحال مشتقا" او وصفيا" هو الغالب لا يلغي استعمالا" واردا" عن العرب لاسيما مع كثرته وروده في النثر احيانا" كما في قولهم طلع بغتة .

Scanned by CamScanner

وهذه الشواهد المتقدمة قد تسجل لنا شيئاً من عملية تطور اللغة ، وهي ان الأصل في اللغة القديمة الجزم بالسكون فقط ، اما الجزم بحذف حرف العلة وبحذف النون فهو مرحلة متطورة من مراحل اللغة . فاللغة عبر مسيرتها تمر بمراحل تصحيحية فتقوم من قوانينها وقواعدها لتصبح اقل ابهاماً وأكثر رقياً وتمييزاً . وقد مرت اللغات السامية القديمة بمراحل تطور عديدة وما لغتنا العربية التي نعتز بها الا النموذج المتطور لتلك اللغات [86] .

9 – استعمال (لو) مصدرية :

وذلك في قوله :

تجاوزتُ احراساً عليها ومعشراً
علَيّ حراصاً لو يسرّون مقتلي [87]

فقد ذهب بعض النحاة الى ان (لو) هنا مصدرية بمنزلة (ان) الا انها لا تنصب والتقدير : على حراصاً ان يسرّون مقتلي [88] .

وعدّ من هذا القبيل أيضاً قول الشاعر :

ما كان ضرّك لو مننت وربما
منّ الفتى وهو المغيظ المحنقُ

وقول الأعشى :

وربما فات قوماً جلّ أمرهم
من التأني وكان الحزم لو عجلوا [89]

والتقدير في الأول : ما كان ضرّك أن مننت ، وفي الثاني : وكان الحزمُ أن عجلوا .
وأكثر النحاة لم يثبت ورود (لو) مصدرية ، وممن اثبته الفراء وأبو بكر الأنباري وأبو علي وأبو البقاء العكبري والتبريزي وابن مالك [90] .

Scanned by CamScanner

وقد حملت (لو) على المصدرية في بعض آيات التنزيل كقوله تعالى : ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ – القلم / 9 .

وقوله تعالى : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ – البقرة / 96 .

والتقدير في الآية الأولى : أن تدهن ، وفي الثانية : أن يعمر [91] .

ويذكر ابن هشام أن حجة المانعين " في نحو : ((يود أحدهم لو يعمر ألف سنة)) انها شرطية ، وان مفعول (يود) وجواب (لو) محذوفان . والتقدير : يود أحدهم التعمير لو يعمر ألف سنة لسره ذلك " [92] .

ويعلق ابن هشام على ذلك بقوله : " ولاخفاء بما في ذلك من التكلف " [93] .

ويشهد المثبتون عليه قراءة بعضهم : ((ودوا لو تدهن فيدهنوا)) بحذف النون [94] فعطف (يدهنوا) بالنصب على (تدهن) لما كان معناه أن تدهن [95] وهذا ما نراه فيها أيضا" .

10 – استعمال (عن) بمعنى (بعد) :

وذلك في قوله :

ويضحي فتيت المسك فوق فراشها

نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل [96]

يقول ابو بكر الأنباري : " وهذا كقولك : ما عرق فلان عن الحمى ، أي : ما عرق بعد الحمى ، وانشد للأعشى :

ولقد شبت الحروب فما عُـ عرفت فيها اذ ذلعت عن حيال [97]

ومعنى (عن حيال) : أي بعد حيال .

Scanned by CamScanner

يخفض (القطر) [126] .

ورأى د . عبد الفتاح هو ما ترجحه لكثرة الشواهد والنصوص الواردة في هذه المسألة [127] .

5 ـ حذف الجار والمجرور

وذلك في قوله المتقدم :

كأن أبانا في افقين ورحله كبير أناس في بجاد مزمل

اذا لم نخرجه على خفض الجوار . فيكون (غرب) نعتاً لضب و (مزمل) نعتاً للبجاد والتقدير : في بجاد مزمل فيه . فحذف الجار و المجرور[128] .

وهذا التقدير فيه شيء من التكلف في هذا البيت .

ومما حمل هذا المحمل قوله :

ان الكريم وابيك يعتمل ان لم يجد يوماً على من يتكل

على تقدير : من يتكل عليه [129]

ولا ادري لم خرج البيت على حذف الجار والمجرور ولم يخرج على تقديم الجار والمجرور وهو (على من) وهو الظاهر في هذا البيت .

الا انه قد ورد حذف الجار وابقاء عمله في جملة من الشواهد كقوله :

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عني ولا أنت ديماني فتخزوني

والتقدير : لله ابن عمك [130]

وقوله :

رسم دار وقفت في طلله كدت أقضي الحياة من جلله

Scanned by CamScanner

والتقدير : رب رسم دار .

وقوله :

أصهب يمشي مشية الأمير

لا أوطف الراس ولا مغرور ○

والتقدير : رب أصهب .[133]

وقد روي شيء من ذلك في النثر نحو ما روي عن رؤبة من انه كان يقال له : ((كيف أصبحت عافاك الله) فيقول خير والحمد لله ، يريد : على خير[133] .

ويرى ابن عصفور ان هذا لا يجوز الا في الشعر وشذوذ الكلام . والنحاة يجيزون حذف الجار في نسم الله تعالى في القسم تخفيفا لكثرة الاستعمال [133] .

ولسنا نرى مانعا" من حذف الجار والمجرور اذا دل عليه دليل من سياق ونحوه فالعرب تحذف اذا عرف المعنى كما تقدم [134] الا ان هذا التقدير في بيت امرئ القيس السابق وفي بعض الأبيات التي حملها النحاة على هذا المحمل لا يخلوا من التكلف .

Scanned by CamScanner

- الخاتمـــــة .

هذا أهم ما حاولنا تتبعه من مسائل وظواهر نحوية ضمنتها أبيات المعلقة ، والتي تؤكد لنا دون شك سعة اللغة وكثرة جوازاتها . وذلك ان اللغة العربية لغة ثرية تنطق بها قبائل متنوعة موزعة على طول جزيرة العرب وعرضها . وكل قبيلة لها أساليبها وميولها في الكلام . وان كانت تلك القبائل تشترك فيما بينها في كثير من أمور هذه اللغة فان هذا لا يلغي لهجاتها ولا لغاتها الخاصة التي تختلف عن لغة غيرها من القبائل ، والتي قد يلجأ الى استعمالها الشعراء أحيانا كثيرة ، وان لم تكن هي الأفصح والأكثر شيوعاً لكنها لغة لها فصاحتها ووجيها . واريد ان نقول أيضا ان كثيراً من القواعد فرضت من وجهة نظر ضيقة خاضعة للقواعد المنطقية والعقلية التي تقف عاجزة أحيانا كثيرة أمام ما يخرج على هذه القواعد من كلام العرب واشعارهم وذلك ان اللغة مبناها على التلقي والسماع وليس على الاستدلالات العقلية والمنطقية فحسب . وهذا ما ذهب اليه كثير من العلماء والباحثين وهو أيضا ما حاولنا دعمه وبيانه من خلال بحثنا للظواهر النحوية في المعلقة .

وبعد ما تقدم من مواضيع البحث فان ما رجحناه وقررناه يمثل وجهة نظرنا المتواضعة ونترك للقارئ والباحث الكريم رأيه والله الموفق للسداد والرشاد .

الباحث

Scanned by CamScanner